

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[255] والظعن في الدين الحق، والشرعة الحقّة: (لما بألسنتهم وظعنًا في الدين).
(واللي على وزن الحي بمعنى الفتل، مثل فتل الحبل وما شابهه، ويأتي أيضًا بمعنى التغيير والتحريف). (ولو أنَّهُم قالوا سمعنا وأطعنا وسمع وانظرنا لكان خيرًا لهم وأقوم) أي أنَّهُم إن سلكوا الطريق المستقيم وتركوا كل ذلك اللجاج والعناد، ومعاداة الحق، وسوء الأدب، والجرأة والقحة وقالوا: سمعنا كلام الله وأطعنا، فاستمع إلى كلامنا يومئذٍ لكي ندرك الحقائق إدراكًا كام، لكان ذلك من مصلحتهم، وكان في ذلك منفعتهم، وأكثر انسجامًا وتوافقًا مع العدل والمنطق والعدل والأدب. (يولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قلبي). أي أنَّهُم لن يتخلوا عن هذا السلوك الشائن بسرعة، كيف؟ وقد ابتعدوا عن رحمة الله بسبب ما هم عليه من كفر وتمرد وطفغان، وماتت أفئدتهم وتحجرت بحيث صار من المتعذر أن تخضع للحق، وأن تحيا من رقتها بهذه السرعة، اللهم يا لاء بعضهم ممن يمتلك فؤادًا طاهرًا وعق يقظًا، فهؤلاء هم المستعدون للقبول بالحقائق، والإستماع إلى نداء الحق والإيمان به. وقد اعتبر جماعة هذه الجملة من مغيبات القرآن وإخباراته الغيبية، لأنَّهُ - كما يخبر القرآن الكريم في هذه الآية - لم يؤمن من اليهود طوال التاريخ الإسلامي ولم يدع للحق إلا جماعة قليلة، وأمًا غيرهم - وهم الأكثرية الساحقة - فقد بقوا - وإلى الآن - على عدائهم الشديد، وخصومتهم للإسلام، ولم يزالوا يكيدون له المكائد، ويحكون ضده المؤامرات. * * *